على هامش المدرسة المزعومة في الشعر العراقي

لامراء في ان جزءاً غير قليل من تتاجنا الادبي في الوقت الحاضر ـ وما تتاجنا الى ضئيل ـ متأثر بنتاج الادب المصري المعاصر ، فقد اندفع كثير من شبابنا وشاباتنا ممن يطلق عليهم اسم الشاعر او الشاعرة ، والكاتب او الكاتبة في تيار بعض المذاهب الادبية في مصر وربما في سورية ولبنان . فانجرفوا في التقليد الى ابعد حد واقصى غاية ظانين ان تلك المذاهب انما تمثل الاتجاه الصحيح في الادب ، بل ربما كان بعضهم ابعد نظراً بالنسبة الى اولئك ـ فيظن ان تلك المذاهب المصرية ماهي الا صدى لمذاهب الغرب واتجاهاته ، وهي بالفعل كذلك ـ ومن ثم يشعر بشيء غير يسير من الاستقرار والاطمئنان الى انه بعمله هذا قد شايع الغرب ومذاهبه في الادب والفنون .

وهذه مشكلة لا اظنني البادئ بامر تحقيقها وتحليلها فقد اكثر القول فيها من قبلي الكثيرون .

وانما وجدتني اعيد على بدء لما بدأ من اهتمام القراء الجلبث للانتباه حقا بديوانين او ثلاثة من دواوين الشعر التي ظهرت قبل شهور . ولما كتب عن هذه الدواوين في الصحف والمجلات من تقريض كاذب ومدح مزيف لعل مبعثها المجاملة المحضة او الجهل المخزي الذى (يتمتع) به بعض نقادنا .

ولقد قرأت هذه الدواوين بجد واهتمام . فرأيت ان المذهب الرمزي يملك على هؤلاء الشعراء امرهم ويكاد يقيدهم تقييدا لافكاك لهم منه .

وللقارىء ان يتأمل فى عنواني ديوانين من هذه الدواوين « خفقة الطين » للسيد بلند الحيدري ، و [عاشقة الليل] لنازك الملائكة ، ثم له ان يضحك من بعد ذلك بملء شدقيه.

لسنا نشك في ان للادب الرمزي بواعثه ومسبباته التي لا يسعنا شرحها في هذه العجالة ويرجع اغلبها الى ضغط البيئة غير الملائمة التي تكبت المشاعر في الفرد وحينئذ تحاول الظهور تحت ستار من الفن الرمزي الذي يعبر عنه التصوير والشعر والنثر فنحن نختلف مع الكاتب الكريم من حيث وجهة نظره الى الادب الرمزي الذي ينعته بالحماقات والمهازل .

التحرير

لا اراد .

واقول للقارىء : الحق ايضا اني تعبت اشد التعب لعجزي عن ايجاد اسم اطلقه على هذا الضرب من السخف والغفلة لاخلعه على هذا الشاعر وتلك الشاعرة .

غير ان القارىء خليق بالا يقف عند العنوانين فقط بل ان يستمر في قراءة الديوانين ليتلذذ بنعمة الضحك التي وهبها الله له ، والتي ستثيرها فيه (الغصون الحالة) و (الطين البليد) و (لعنات التراب) و (الريش الحالم) و (الجدول المغفل) و (الجيفة التي فتنت حب الشاعر واحلامه) . الى آخر هذه الحماقات التي يعدونها رمزاً للعقل الباطن ودليلا علية .

على ان الذي اريد دفعه من الاذهان هو أني لا انكر العقل الباطن اوانفيه فليس ذلك بيدي ولكني اظن ان تعابير اللغة العربية اوسع من ان تقف عند الريش الحالم والجداول المغفلة وسائل للتعبير عنه .

وكنت احب ان استمر في هذا النوع من التعليقات على الشعر الذي جاء في الديوانين المذكورين ، ولكني اثرت الامثلة القليلة تجنبا للتكرار وحبا في الانتقال الى ملاحظة اخرى قد تكون اكثر اهمية من الاولى .

هذه الملاحظة في واقع الامر تنبيه لهذا الشاعر او ذاك الى مرحلتنا الحاضرة من الكفاح الاجتماعي والصراع الوطني الذي نحن فيه والذى يتطلب منا شعرا حماسيا وادبا اجتماعيا عنيفا لا ادبا مخنثا قوامه الغرائز الواطئة ، واساسه مذاهب فى الغرب اقل مايقال في وصفها انها من الركاكة والهزال في مكان

فنزعة الرمزية لم تقف في الغرب عند الشعر خاصة والادب على وجه العموم فحسب ، بل تعدتها الى الفنون الاخرى كما هو الحال في التصوير . واذا المرأ هنا يتعرض لحماقات ومهازل

فتموج الوجه المنعكس على المرآة الآبنوسية وقال هامساً بضجر وأسى :

ـ دمار فني ؟ اني لا افهم ، والويل لهذا الدمار الفني . لقد كانت مني فكاهة عابرة .

وراحت تستوعب كل ما يمر بخاطر العازف دفعة واحدة وعلمت ان الينبوع قد شارف الانفجار اذ الاشباح الصغيرة قد عادت الى الظهور تطفر من حفرة البيانو ، عادت لتملأ جو الغرفة بوشوشتها المتفائلة كوطاويط الخير ، ثم لا تلبث ان تجمعها الريح المحملة بالشذى ، باذرعها البلورية البديدة وتفر بها ، لتنثرها على الآفاق الجالة . على ملأ الليل تنثرها ، هدية من النجوم البشرية ، من شموع الانسانية التي تضيء وتنشد وتعطي الغير ، ولاتعرف لها عملا غير هـــذا يبرر وجودها فقال العازف :

ـ انظري كيف تنهار ذراتها وتختفي كأنها لم تكن ، فهل يسرك تحويل الحاضر الى ماض يا اميرتي ؟

عجباً في لحظة واحدة يصبح النغم ماضياً
بقفزة واحدة تنمحي من الوجود وتموت .

فقالت المستمعة بحده :

ـ اسمع تموت او لاتموت ! فهذا البيانو مهدها قبرها ، وهذا ماقدر لها ، كما قدر لهذا التراب لن يكون مهدنا ولحدنا .

فقال متحمساً :

ـ ليتني اعرف الى أين تنزح هذه المواليد البريئة فقالت متثائبة : ـ

ـ هل اذا علمت مكان مقابرها يتبدل تفسير الامور عندك ؟

فقال : ـ

ـ على رسلك فهل انا هنا كي ارسم مصيرها التافه فحسب ؟

واردف ساخراً :ـ

ـ وما مصيرها ؟ مصيرها يخيل الى انه لا يتعدى الخطوط والدوائر والثقوب الطائشة التي تملأ هذا الفراغ الرجراج فهل هنا لك من معنى واحد لهـــذه الطوائف من الامواج المبهمة التي خلقت مبهمة لتمضي مبهمة ! ؟

فقالت :

ـ جرب أن تضع لوجودها مغزى ، تفسيرا . هـــذه هي موسيقاك بعد اليوم فهل سمعت ؟ فابتسم وقال :

ـ امرك مولاتي !

ولكنها تابعت نظريتها متجاهلة نبرة التهكم في صوته :

ـ لاريب ان وراء هذه الدوائر والخطوط التي يرسمها كل حي او جامد ، شيء من المعنى .

عندها اهتزت الشمعة وكادت ان تنطفي واردفت قائلة :

ـ انظر الشمعة ، يخيل الي انهـا وحدها هي التي تحاول فهم مهمتها في هـــذه الغرفة الثائرة ، وان كانت مهمتها الليلة انارة جبل من الوهم ، قدر عليك ان ترزح تحت اثقاله !!

لقد كانت صفعة . صفعة خير رهيبة ، فقال العازف محاولا هضم كل كلمة قيلت :

ـ رويدك اني استشف ما تعنيه يا دماري الفني !!

وحاول ان يقبلها ولكن المرآة الآبنوسية صدته ، صدته فحسب . فقالت متراجعة الى ركنها في اقصى المرآة :

ـ بعد النشيد ، اعني بعد ان تتمم النشيد المطلوب سأقبلك .

ـ بعد ان انعم الانشودة ؟ ولكنها تمت

★

تحطم السكون فانتبه العازف من بحرانه واستدار ليرى المستمعة ذات الوجه الشمعي تتثاءب فقال بسره :

ـ يالها من امرأة كلها خطوط فوسفورية ودوائر ترسم لعالم عيني اغمض معاني الوجود ، خطوطاً ودوائر تشع في الظلام كأنها خلقت لتعبث على تفسير عبثها الارتجالي واردف بصوت مرتفع فقال :

ـ ما اشبهك بالاهليلاج الذي ترسمه الشمس في دورتها البسيطة السريعة . انه اهليلج محرق خفي لا يرى ، ولكنه موجود . . .

وراح كفيه على ركبتيه على مهل وهمس كمن يقلد نحيب الأفعى : ـ

ـ ولكن البيانو مقفل يا سيدتي العزيزة !

وها انتي انتظر المفتاح ، لقد طلبته منك .